

اعترافات

للدكتور حامد طاهر

يقال إن الاعتراف : شجاعة

وأنا أقول إنه : استسلام

والأمران متداخلان

فالشخص الذي يعترف

يشبه من يتعري أمام الآخرين

لكنه لما يفعل ذلك

لما بعد أن يدرك أن ما يفعله

هو نهاية التماسك !

قضيت معظم سنوات عمرى

وأنا أحاول فهم الماضى من كتب التاريخ

حتى إذا اقتربت كثيرا من ذلك

وجدتني أجهل الناس فى فهم الحاضر ..

أنفقت زمنا طويلا

في معايشة عواصم الحضارة الإسلامية :

دمشق ، وبغداد ، وقرطبة ..

وأخيرا وجدتنى أعيش وحيدا

في عصر الإنترنت !

صدّقت الذين قالوا لى :

إن الحب العذرى هو أسمى أنواع الحب

وبعد أن وقعت فيه أكثر من مرة

وجدت أنه هو الحرمان بعينه .

نشأت على أن عالم المكتب

هو أعلى قيمة من حياة الواقع

حتى تبين لي خطأ هذا القول تماما

فليست المكتب سوى المرأة

التي تعكس الواقع بكل ما فيه .

القراءة هي الطريق الأمثل للكتابة

والمسألة هنا أشبه

بالإناء الذي لا يفيض

إلا بعدما يمتلئ !

أقسى أنواع الخيانة

هي التي تأتي من أقرب الأصدقاء

أما الأبعد فنحن ننسى إساءاتهم ،

كما ننسى أشخاصهم .

أحببت بالوراثة الطعام الجيد ،

لكنني لم أكن أستمتع به

ألا وسط صحبة جيدة .

أسوأ ما تلقيه المصدفة في حياتك :

المجار المساء

الذى يملأ شقته بالضجيج

ولما يتورع من إلقاء القمامة على بابك .

زملاء العمل يمكن أن يجعلوه جنة

كما يمكنهم أن يحولوه إلى جحيم

وذلك بما يغلى في نفوسهم

من حقد وغيرة وحسد ورغبة في الأذى !

حياة الحيوانات فى الغابة

أكثر استقرارا من من حياة الناس فى المدن

فهي تستمتع بالطبيعة

ولما تفترس إلما عندهما تجوع

وتنام معظم الوقت !

الكذب والسرقعة والقتل

هى أسوأ الجرائم فى كل الأزمان

أما في العصر الحاضر

فقد أضيف إليها : الفهلوة .

إن التعرف على إنسان طيب

أشبهه بأصطياد سمكة من المحيط

لذلك لا تفلته من يدك ،

إلا إذا رغب هو في ذلك

مأساة الإنسان على الأرض

أنه لا يحظى بفرصة واحدة ،

إما أن ينتهزها ، أو يخسرها ..

والمؤكد أن الحساب قادم لا محالة .

مع مرور الوقت

لم يعد الموت يفاجئني

لأنه ببساطة هو وجه العملة الآخر

من الحياة .

أكاد أقول للعقلاء :

إن تكاليف علاج الأمراض المستعصية

التي ينفقها الناس في المستشفيات

وليس لها شفاء

إنما تتراكم في جيوب الأطباء !

أسوأ من قابليتهم في حياتي : المنافقون

الذين يظهرون الطاعة ويضمرون المعصية

والذين يدهنون المسئول

لكي يحصلوا منه على مكافأة سريعة

فإذا ترك منصبه

اختفوا من أمامه تماما .

وقريب منهم :الذين يروجون لأنفسهم

بما ليس فيهم !

وبما أنهم يكذبون ، ويكذبون ..

فإنهم يصدقون أخيرا ما يقولون

والعجيب أنهم يندهشون

حين يرونك لا تصدقهم !

الرجل العاشق يمكنه أن ينسحب

من معركة الحب

إذا وجد من المرأة صدودا مستمرا

أما المرأة العاشقة فلا تتراجع أبدا

والأمر بالنسبة إليها : النصر أو الموت !

معظم الناس يعيشون حياتهم يوما بيوم

دون أن يتركوا وراءهم شيئا يذكر

بينما أفراد قلائل فقط من العباقرة

هم المذنبين ساهموا في تقدم الإنسانية

كالذي اخترع الكهرباء ، أو الطائرة ،

أو التلفون المحمول ..

كثيرا ما حاولت أن أستسيغ مشاهدة الأوبرا

وأعترف بأنها لم تعجبني أبدا

لكن ما يخرجني بحق

هو رؤية الذين يرتدون الكرافات والفراء

ويتابعونها في صمت وانبهار !

يقدر علماء الجيولوجيا عمر الأرض

بخمسين مليون سنة

وهذا الرقم لا يدخل عقلي على الإطلاق

إما لأنه أكبر منه ،

أو لأن عقلي هو الأصغر !

أعجبت كثيرا ببطولات التاريخ وأعلامه

حتى قرأت أخيرا قولاً أصبحت مقتنعا به

وهو أن التاريخ يسجل المانتصارات ،

وليس الفضائل

اعتراضات (2)

[بعد أكثر من أربعين عاما في التعليم]

محصلة الثقافة العربية والإسلامية

التي تشربتها وجمعتها

على مدى أكثر من أربعين عاما ..

ألاحظ اليوم أنها تتوارى وتتسرب

من روح الأجيال الجديدة

وهذا ما يجعلنى أحس بالكثير

من الألم والحسرة .

اللغة العربية التى ناعها حافظ إبراهيم

فى قصيدة عصماء مبكية

ما زالت تعانى من الإهمال واللامبالاة

وكسر القواعد على ألسنة أهلها ،

وأفلام كتّابها .

أما التلاميذ الذين يتعلمونها فلهم الله

لأنهم أصبحوا يتجرعون (النحو)

كالدواء المر ، الذي لا يشفى أحدا !

المرحلة الابتدائية (ست سنوات)

كان من المفترض أن نعلم أبناءنا فيها لغتهم القومية

إلى جانب لغة أجنبية كالإنجليزية

مع قدر بسيط من الرياضيات

أما باقى المواد فتؤجل إلى المراحل التالية .

الدراسات العليا فى الجامعات

أصبحت تنتج مؤلفات ضخمة توضع

على أرفف المكتبات بدون أى فائدة للمجتمع ،

ولما للبحث العلمى ..

أما يوم المناقشة فقد صار احتفالية فولكلورية

يصفق فيها الرجال ، وتزغرد النساء ،

ويرقص الأطفال ، وتلتقط المصور التذكارية ..

على مقربة من مسكنى

توجد مدرسة ابتدائية

بها ميكرفون زاهق

يصرخ فيه بدون انقطاع مدرس التربية الرياضية

بحيث يشوش على سابع جار

وأتساءل : متى يسكت ليستمع تلاميذ المدرسة

إلى ما يقوله لهم المعلمون الآخرون ؟

مع انتشار مأساة الدروس الخصوصية

سقطت للأبد هيبة المدرس

من نفوس التلاميذ ،

واقصر دوره على إعطائهم مفاتيح الفوازير

التي يحلون بها في الامتحان ،

وهذا ما أنهى من التعليم مصطلحات مثل :

التوجيه ن والإرشاد ، والمقدوة ..

على أيامنا .. كانت حقيبة المدرسة

خفيفة ومنظمة ومتصلة بحصص اليوم الدراسي

أما اليوم .. فقد أصبحوا يكلفون التلميذ

— مهما صغر حجمه ! —

بملئها بكل كتبه وكراساته وأقلامه

بالإضافة إلى طعامه وشرابه

ولم يشغل بالهم أن ينوء ظهره بها

أو يتقوس عموده الفقري !

تدهشنى إعلانات (مراكز الدروس المخصصة)

التي تتحدى بكل بجاجة وزارة التربية والتعليم

فتحدد مواعيد لملك الكيمياء ،

وإمبرطور الرياضيات ،

وأمير اللغة العربية ..

ويقال إن (السنتر) الواحد منها

يضم أكثر من خمسمائة تلميذ في الحصة الواحدة

ولست أدري كم يبلغ العائد منها ؟

لكن المؤكد أنه لا يوجد لها مثيل واحد

في كل دول العالم !

شعار (مجانية التعليم)

أصبح خاليا من المضمون

وعلىنا الاعتراف بذلك دون مجاملة أو مكابرة

ويمكنكم أن تحسبوا معى ما تنفقه الأسرة

على الدروس الخصوصية

وستجدون أن المدارس أحق بتلك المبالغ

للهوض بالعملية التعليمية ،

وإصلاح حال المعلم ،

وتوفير الأجهزة اللازمة ..

تأهيل المدرس ضرورة مستمرة

ولما ينبغى أن تتوقف إلهما بإحالتة إلهى التقاعد

وعلىنا أن نتابع فى تأهيله

الجوانب : العلمية والتربوية والنفسيّة والاجتماعية

وبهذا الأسلوب نضمن تطوره الذى ينعكس

بالضرورة على تلاميذه .

من أسوأ العقوبات المتوارثة

فى وزارة التربية والتعليم

عقوبة النقل إلى المصعيد

وكأنّ المصعيد منفى ، وتلاميذه لا يستحقون

المدرس المتميز !

سبق أن دعوت إلى إلغاء المجلس الأعلى للجامعات

فقد كان إنشاؤه مرتبطا بظروف خاصة

عقب قيام ثورة 1952.

ويومها لم يكن لدينا سوى ثلاث جامعات فقط

أما وقد زاد عددها الآن إلى حوالى 30 جامعة

فقد أصبح من اللازم أن يترك لكل منها

الاستقلال الأكاديمي والإداري حتى تنهض بنفسها ،

وتتنافس مع زميلاتها ،

وتحقق ما نرجوه لها من تقدم علمي يفيد المجتمع .

كثيرا ما دعوت إلى أن يكون التدريب العملي

جزءا من الدراسة الجامعية التي تقتصر

على الجانب النظري فقط :

فطالب الحقوق لا يدخل محكمة إلا بعد التخرج

وطالب الطب ينبغي أن يعمل لبعض الوقت في عيادة أو مستشفى

وطالب الآثار يجب أن يضع يده في ترميم بعض الآثار

وهكذا.. حتى لا يفجأ بنوعية العمل !

اللغة الإنجليزية التي أصبحت عالمية

تستحق أن نعلمها لأبنائنا : قراءة وكتابة وحوارا

ولما مانع أبدا من الاستعانة في هذا المصدد

بمدرسين إنجليز — كما كان يحدث في الماضي .

المرحلات المدرسية ليست فقط ترفيها

بل ينبغي اعتبارها جزءا أصيلا من العملية التعليمية

إنها توسع مدارك المتلاميذ ،

وتمنحهم تجارب الحركة والتنقل ،

وتضع أيديهم على معالم الحضارة في وطنهم

كما أنها تستحث الكثيرين منهم

على المتطلع لمزيد من التفوق والإبداع .

أشهد بأن الإذاعة المصرية كانت

تقدم خدمة جلية للتعليم

من خلال برنامج (أوائل الطلبة)

والذى كانت تتنافس فيه مدرستان

فى مختلف أنواع العلوم والآداب والمفنون

وكان فىه ما فىه من تعللماً لباقى الطلبة

وتحفلزل للمتفوقلن منهم على مواصلة التمللزل .

لماذا اختلف هذا البرنامج الرائل ؟

وكلف يمكن إعادته ؟

ومرة أخرى أقدم حلاً لمشكلة الأمللة :

أن يتم تكلف كل طالب وطالبة جامعللة

بمحو أمللة شلخص خلال الأجازة الصلفللة

وأن فحسب له ذلك ضمن درجات أعمال السنة .

وألل أن عدد طلبة الجامعات بلغ مللونا ونصف

فسوف نقضى بذلك على أمية ستة ملايين

خلال أربع سنوات .

أما اعترافى الأخير هنا

فيتعلق بالتلميذ أو الطالب المصرى

وأؤكد لكم أنه من أذكى طلبة العالم

ومن أكثرهم مثابرة وحرصا على التعلم

بشرط أن تتواضر له البيئة المناسبة ،

والمعلم الذى يزوده بالمنهج الصحيح .
